

(خطب وعظيه هـ) إعداد فضيلة الشيخ د. فهد بن عبدالله آل طالب

(نوح عليه السلام .. الداعية الصبور)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا، أما بعد: فإن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ بدعةٍ ضلالة.

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون)، الدنيا ما مضى منها فحلّم، وما بقي فأماني، والأيام والليالي مراحلُ إلى الله والدار الآخرة، ثم أنتم صائرون إلى ربكم، وموقوفون بين يديه، (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية).

عباد الله/ هذا خبرُ نبيِّ كريمٍ من أنبياءِ الله، من أولي العزم من الرُّسل، وهم خمسةٌ ذكَّره اللهُ في موضعين من كتابه، في سورة الشورى والأحزاب، (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومنك نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم)، هو أولُ رسولٍ بُعثَ إلى أهل الأرض، فقد كان الناسُ قبله على التوحيد، إنه نوحٌ عليه وعلى نبيِّنا أفضلُ الصلاة والسلام .. ذكَّر اللهُ خبره في سورٍ كثيرةٍ من القرآن، بل سُمِّيَ سورةً باسمه فليس فيها غيرُ نوحٍ وقومه، وهو أبو البشرِ الثاني بعدَ هلاكِ أهلِ الأرضِ أجمعين، فالناسُ كلُّهم بعده من ذريته عليه السلام، (وجعلنا ذريته هم الباقين).

عباد الله/ أولُ شركٍ وَقَعَ في هذه الأرضِ هو شركُ قومِ نوحٍ عليه السلام، مات قومٌ صالحون فأوحى الشيطانُ إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسُمُّوها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلمُ عُبدت، كما رواه البخاريُّ في صحيحه عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، فبعثَ اللهُ داعيةَ التوحيدِ نوحًا عليه السلامُ إلى

قومه، يُنذِرهم ويحذِرهم، وَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، وهو يدعوهم إلى الله، وما آمنَ معه إلا قليل .. يَا لَهْمَمِ الْأَنْبِيَاءِ! وَيَا لَسَمَوْتِهِمْ وَعَظَمَتِهِمْ! (الله أعلم حيث يجعل رسالته)، وفي دعوة نوح عليه السلام وفي صَبْرِهِ عِظَةً وَعِبْرَةً لِكُلِّ دَاعِيَةٍ إِلَى اللَّهِ وَلَنَا أَجْمَعِينَ، (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده).

عباد الله/ أعظمُ ما يُدعى الناسُ إليه وأوَّلُ ذلكَ وأولاه: توحيدُ الله عز وجل وإفراذه بالعبادة، هذا نوحٌ عليه السلام يقولُ لقومه: (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)، وهكذا دعوةُ الأنبياءِ أجمعين: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)، فأعظم الحقوقِ حقُّ الله تعالى، ومَن فَرَطَ في حقِّ الله تعالى فلن يقومَ بحقوقِ الناسِ ومصالحهم، ولن تقومَ له دعوةٌ أو دولة، (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين).

عباد الله/ طريقُ الدعوةِ شاقٌّ وطويل. والدَّرْسُ العَظِيمُ الذي خَتَمَ اللهُ به قصةَ نوحٍ لما قصها على نبيِّه هو درسُ الصبر، قال الله لنبيِّه محمدٍ صلى الله عليه وسلم: (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين)، الصبرُ الصبرُ، هذا نوحٌ عليه السلام لبثَ في قومه أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، سَنَةً سَنَةً، شهرًا شهرًا، ليلًا ونهارًا، سرا وجهارا، إعلانا وإسرا، لا يَفْتُرُ ولا يَمَلُّ، (قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا * فلم يزدتهم دعائي إلا فرارا * وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا * ثم إني دعوتهم جهارا * ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا)، هذا صبره على الدعوة إلى الله.. وأما صبره على الأذى في طريق الدعوة فأمْرٌ عَظِيمٌ آخِر، إنه يدعوهم إلى الله هذه المدة الطويلة، ولا يسألهم أجرا، ولا يطلب منهم مالا، وإنهم ليسخروا منه، ويقولون ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم، ويقولون: إن هو إلا رجلٌ به جنة، ومع هذا العناء الطويل: ما آمنَ معه إلا قليل، (سلام على نوح في العالمين) (إنه من عبادنا المؤمنين).

(الخطبة الثانية)

عباد الله/ روى البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يجيء نوح وأُمَّته، فيقول الله تعالى: هل بَلَّغْتَ؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأُمَّته: هل بَلَّغْتُمْ؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي، فيقول لنوحٍ مَنْ يشهدُ لك؟ فيقول: محمدٌ صلى الله عليه وسلم وأُمَّته، فنشهدُ أنه قد بَلَّغَ" بما عَلِمْنَا في هذا القرآنِ العظيمِ الذي بَلَّغَهُ إلينا رسولُنا صلى الله عليه وسلم من خبرِ نوحٍ عليه السلام، (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) .. نشهدُ أنه عليه السلام بَلَّغَ رسالةَ رَبِّهِ البلاغَ المبين.

عباد الله/ هذا بعضُ ما لَقِيَهِ الأنبياءُ الكرامُ في سبيلِ الدعوةِ إلى الله، وهذا صبرُهُم وجهادُهُم، فأين هذا ممن يدعو ولده أو جازه أو صديقه مرةً أو مرتين، أو سنةً أو سنتين، ثم يترك ذلك؟! وأين هذا ممن إذا أُوذِيَ في طريقِ الدعوةِ إلى الله بكلمةٍ أو ما فوقها تَرَكَ الطريقَ؟! .. الدعوةُ إلى الله واجبةٌ على كلِّ مسلمٍ، ولو كان مقصِّراً في نفسه، واجبةٌ على كلِّ واحدٍ منا بما يستطيع .. (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين)، من استطاعَ الدعوةَ إلى الله بنفسِهِ على علمٍ وهدىٍ فَحَسَنَ، ومن استطاعَ الدعوةَ بماله فَحَسَنَ، ومن استطاعَ بجاهه فَكَذَلِكَ، وقد تيسَّرت بحمدِ الله سُبُلُ الدعوةِ في هذا الزمان .. انشرْ دينَ الله، وبَلِّغْ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ولو آيةً واحدةً .. في يَدِكَ الهدى والنورُ فلا يكنْ أهلُ الكفرِ والضلالِ أحرصَ منك على نشرِ باطلِهِم وضلالِهِم؟ .. من دعا إلى هدى كان له من الأجرِ مثلُ أجورِ من تبعه .. المعلمُ في مدرسته داعيةٌ إلى الله، والموظفُ في عمله، والعاملُ في بيعه وشرائه، والإمامُ في مسجده، والجارُ مع جاره، والوالدُ في بيته، والمرأةُ مع أولادِها، وكلُّكم داعٍ إلى الله ومسؤولٌ عن هذه الدعوة، (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) .. اللهم اجعلنا من الدعاةِ إليك على بصيرةٍ .. وتولنا فيمن توليته وكنت نصيره.. وتجاوز عن تقصيرنا يا أرحمَ الرحمين ..